ألا مُبْلِغٌ عنِّي الوَجِيْهَ رِسالةً وإنْ كان لا تُجْدِي لديه الرَّسائِلُ
تمذهَبْتَ للنُّعْمان بعدَ ابنِ حَنْبَلٍ وذلكَ لما أَعْوَزَتْكَ المآكِلُ
وما اخْتَرْتَ رأيَ الشَّافعي تديُّناً ولكنَّما تهوى الذي هو حاصِلُ
وعَمَّا قليلٍ أنتَ لا شكَّ صائِرٌ إلى مالكٍ فافْطَنْ لما أنا قائِلُ

يحيى بن طاهر بن محمد، أبو زكريا الواعظ[1]

ويعرف بابن النجار، البغدادي.

ولد يوم عرفة سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتوفي في ذي الحِجَّة، ودفن بالمختارة شرقي بغداد، وأنشد في مجلسه: [من البسيط]

عاشِرْ من النَّاسِ مَنْ تبقى مودَّتُهُ فأكْثَرُ النَّاسِ جَمْعٌ غيرُ مُؤْتَلِفِ
منهمْ صديقٌ بلا قافٍ ومعرفةٌ بغير فاءٍ وإخوانٌ بلا ألفِ

سنة ست مئة

فيها قَدِمَ بغداد أبو الفتوح ابن أبي نَصْر الغَزْنوي رسولاً من صاحب غَزْنة، وجلس بباب بَدْر، وقال: يا أهل بغداد، هنيئاً لكم، أنتم تَحْظَوْنَ بأميرِ المؤمنين ونحن محرومون، وتشاهدون سُدَّة سيادته ونحن محجوبون، وأنشد: [من المتقارب]

ألا قُلْ لسُكَّانِ وادي العقيقِ هنيئاً لكمْ في الجنانِ الخلودُ
أفيضُوا علينا من الماء فَيْضاً فنحنُ عِطاشٌ وأنتم وُرُوْدُ

قال المصنِّف رحمه الله: وفي أوَّل هذه السنة سافرتُ من بغداد إلى الشَّام، وهي أوَّل رحلتي، فاجتزتُ بدقوقا [وبها خطيبها، ويقال له الحجة، وكان يعظ بها، وروى لنا الحديث، وسمع بالعراق ابن البطي وغيره، [2]] وجلستُ بها، ثم قدمت إربل، واجتمعت [بشيخ كيِّس ظريف يقال له[2]] محيي الدين الشاتاني، وأنشدني مُقَطَّعات لغيرِه، منها: [من البسيط]

رَجِمْتُ أسودَ هذا الخال حين بدا في حُمْرَةِ الخدِّ مرمياً بأبصار

---

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١/ ٤٠٢، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٣٥-١٣٦، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٤٤.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

كأنَّه بعضُ عُبَّادِ المجوسِ وقد ... ألقى بمهجته في لُجَّةِ النار

ومنها: [من الكامل]

نَسَجَتْ خيالاً والصُّدودُ بغارها ... وبَدَتْ هلالاً والنِّقاب سِرَارُها
بدرية في الجَفْنِ مني ماؤها ... يوم الرَّحِيْلِ وفي فؤادي نارُها
أَلِفَتْ لتعذيب المُحِبِّ وحَيْنِهِ ... شِيَمَ البُدُور فما يقرُّ قرارُها
طَوْراً بحُزْوىٰ والعقيقِ وتارةً ... بمُحَجَّرٍ وادي السفيق ديارُها
وإذا رجعتَ إلى الصَّحيحِ فَنَجْدُها ... قلبي وبين جوارحي أغوارُها
يا آل خِنْدِفَ عندكُمْ أرواحُنا ... مأسورةً فمتى يُفَكُّ إسارُها
ماشيمةُ العُرْبِ الكرامِ وأنتُمُ ... منها النَّواصي أن يُذَمَّ جِوارُها

وجلست بإربل، ثم قدمت المَوْصِل وجلستُ بها، وحَصَلَ لي القَبول التَّام [بحيث إن الناس كانوا ينامون ليلة المجلس في الجامع من كثرة الزِّحام، وأدركت بها جماعةً من مشايخ الإسلام، وحملةً من حديث المصطفى عليه السلام، فسمعتُ الأحاديث النقورية على أبي طاهر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي الخطيب، وغيره][1]. ثم قدمت حَرَّان، فجلست بها، [وسمعت الخطيب فخر الدين ابن تيمية، وابن الطباخ، وعبد القادر الرُّهاوي][1]، ثم قدمت حلب، وجلست بها [، وسمعت «شمائل النبي ﷺ» من افتخار الدين، و«أسباب النزول» من عبد الرحمن بن الأستاذ وغيرهما، ثم سمعت «شمائل النبي ﷺ» من افتخار الدين في سنة ثلاث مرة ثانية،][1] ثم قدمت دمشق، فنزلت بقاسيون عند المقادسة، وجلست به وبجامع دمشق، فكانت مجالسي ـ ولله الحمد والمنة ـ مثل غدوات الجنة، ثم زرت [البيت المقدّس المخصوص بالإعظام، وقبر][2] الخليل عليه السلام، وجلستُ بالقدس، وذكرت فَضْله [الذي هو على التقوى مؤسس،][1] وعُدْتُ إلى قاسيون، فأقمتُ به إلى سنة ثلاث وست مئة، ورجعتُ إلى حلب، وأدركت بالشام [شيخنا][1] تاج الدين الكِنْدي وجمال الدِّين ابن الحرستاني، وشمس الدين ابن الشِّيرازي، وشرف الدِّين بن المَوْصلي، وبني عساكر،

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح): ثمّ زرت القدس والخليل عليه السلام، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وقرأتُ على الشيخ موفق الدِّين الحنبلي، وداود بن ملاعب، وابن صَصْرى، وخَلْق كثير.

وصحبتُ الشيخ أبا عمر شيخ المقادسة، وشاهدتُ منه من الزُّهد في الدُّنيا والورع والفَضْل والتواضع، ومن أخيه الشيخ موفق الدين، ونسيبه الشيخ العماد ما نرويه عن الصَّحابة والأولياء الأفراد، فأنساني حالُهم أهلي وأوطاني مع بقاء أعياني، ثم عُدْتُ إليهم بعد ذلك على نية الإقامة، عسى أن أكون رفيقهم في دار المقامة، وأنشدتُ بلسانِ الباطن والظَّاهر:

فألقتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى

وفيها كانت كَسْرة المواصلة؛ سار نورُ الدِّين صاحب المَوْصل إلى تل أعفر، ففتحها بالسَّيف، وكانت لقُطْبِ الدِّين بن عماد الدين صاحب سِنْجار، فاستنجد قُطْبُ الدين بالملك الأشرف بنِ العادل، فجاء ومعه سنجر شاه صاحب الجزيرة، والصَّالح صاحب آمد، والأوحد [أخو الأشرف][1] صاحب مَيَّافارِقِين في عساكر دياربكر، واجتمعوا في خَلْق عظيم، وكان صاحبُ المَوْصل نازلاً على كَفْر زَمَّار في عسكر المَوْصل لا غير، [وكان الحر شديداً، والأشرف على بوشرى في ألوف][2]، فساق عليهم نور الدين في ألفِ فارس، فواقعهم، وقد عطش نور الدين وأصحابه، فكسرهم نور الدين في أوَّل مرة، ثم كانت الكسرة عليه لسوء تدبيره، لأنهم كانوا أضعافه مستريحين، وهو متعوبٌ عطشان، فانهزم، وأسروا جماعةً من أُمرائه منهم المبارز سُنْقُر الحلبي وولده الظَّهير غازي، وذلك في يوم السبت تاسع عشر شوَّال، ودخل نور الدين المَوْصل، وتحصَّن بها، واستعدَّ للحصار، وجاء الأشرف فنزل على كَفْر زَمَّار، وتراسلا واصطلحا في آخر ذي الحِجَّة، وأطلق الأمراء الذين أسرهم إلا المبارز سُنْقُر وولده الظَّهير [غازي][1]، فإنهما أقاما في حَبْس حرَّان مُدَّة حتى شفع فيهما مظفر الدين بن زين الدين، فأطلقهما.

وتزوَّج الأشرف أُخت نور الدين [صاحب الموصل][1] بنت عز الدين مسعود، وهي التي بنت بقاسيون التُّرْبة، ودفنت بها.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ح) والحرّ شديد في ألوف، وفيها سقط، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

وفيها وَثَبَ ناصر الدِّين بن أُرْتُق صاحب مارِدِين على عَمِّه زوج أُمِّه نظام الدين وغلامه لؤلؤ، فألحقهما بالهالكين، واستولى على القلعة، وكانا قد حكما عليه [وقترا الرزق لديه][1]، وكان ناصر الدين وأخوه حسام الدين نازلين عرزم، لا يمكنهما النظام ولؤلؤ من سُكْنى القلعة، فيقال: إنَّ لؤلؤاً دَسَّ إلى حسام الدين مَنْ سقاه السُّمّ، فرمى كبده قِطَعاً، وبقي ناصر الدين، فخاف أن يجري عليه ما جرى على أخيه، [ويصير له تبعاً][1]، وكان النِّظام ولؤلؤ يأكلان البلاد على اسم ناصر الدين، فاتَّفق ناصرُ الدِّين وجماعة من الأمراء على قَتْلهما، وكان ناصر الدين يصعد إلى القلعة للسَّلام على النِّظام، فصعِدَ على العادة، وضبط له الأمراء الباب، فدخل على النظام [وقد تهيأت له الأسباب][1] وعنده أُمُّ ناصر الدين، فضربه بالتافروت[2]، فقامت أمه في وَجْهه، [وقالت: تأنّ فما يفوت.][1] فقال: اذهبي وإلا ألحقتك به. ثم قتله وخرج، واتَّفق دخول لؤلؤ، فالتقاه في الدِّهْليز، وكان أعور من اليمين، ذهبت عينه في حصار مارِدِين، فضربه بالتافروت[2] في عينه الصحيحة [على أفعاله القبيحة][1]، وقطع رأسه، وصَعِدَ إلى السَّطْح، فرمى به إلى العوام، فانهزم أصحاب لؤلؤ والنِّظام، وملك القلعة وما فيها، واستولى على ذخائر عظيمة [يحيّر وصفها][1]، وبعث بأطراف لؤلؤ إلى الموصل وميَّافارقين وجبل جور، واستقامت أموره.

وحج بالنَّاس طاشْتِكِين.

وفيها توفي

الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد[3]

ابن علي بن سرور، أبو محمد، المَقْدِسي.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) لم أقف على معناها.

(٣) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٢/ ١٦٠ ، و«التكملة» للمنذري: ٢/ ١٧-١٩ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ١٥٣-١٥٧ ، و«المستفاد من ذيل تاريخ بغداد»: ٣٠٢-٣٠٤، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٨٢-٨٣ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٤٤٣-٤٧١ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

ولد بجمَّاعيل؛ قرية من أعمال نابُلُس في ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمس مئة، وكان أكبر من الشيخ موفق الدِّين بأربعة أشهر، [لأن مولد الموفق في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمس مئة][1]، والموفق ابنُ عَمَّة الحافظ.

قرأ القرآن، وسمع الحديث الكثير، وسافر إلى الأمصار، وكتب الكثير، وقَدِمَ بغداد هو والشيخ موفق الدِّين سنة ستين، وقيل: سنة إحدى وستين [وخمس مئة][1]، السنة التي توفي فيها الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه، فنزلا بمدرسته، وما كان يمكِّنُ أحداً من النزول فيها، ولكن لما رآهما تَفَرَّس فيهما الخير والصَّلاح، فأكرمهما، وسمعا منه، ثم توفي الشيخ عبد القادر بعد قدومهما بغداد بخمسين ليلة.

وكان ميل الحافظ إلى الحديث، وميل الشيخ موفق الدين إلى الفقه، فاشتغلا بالفِقْه على أبي الفتح ابن المَنِّي، وتفقها عليه، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين.

وسافر الحافظ إلى مِصْر والإسكندرية، ثم عاد إلى دمشق، ونزل إلى الجزيرة، فسمع بها، وعاد إلى بغداد، ثم رحل إلى أصبهان، فسمع بها، ثم عاد إلى دمشق.

وصنَّف الكتب الحسان، منها: كتاب «نهاية المراد من كلام خير العباد» نحواً من مئتي جزء، «مشكل الألفاظ» مجلَّدان، «المصباح في عيون الأخبار الصِّحاح» ثمانية وأربعين جزءاً، [وكتاب اليواقيت][1]، مجلدة، وكتاب «تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين» أحد عشر جزءاً][1]، «الآثار المرضية في فضائل خير البرية» أربعة أجزاء، «الرَّوْضة» جزآن، [وكتاب «الصلات من الأحياء إلى الأموات» جزآن، وكتاب «الإسراء» جزآن، وكتاب «التهجد» جزآن،][1] «الصِّفات» جزآن، «محنة الإمام أحمد رحمة الله عليه» ثلاثة أجزاء، «ذم الرِّياء» جزء، [وكتاب «الذكر» جزآن، وكتاب «الفرج» جزآن][1]، «ذم الغيبة» جزء، «الترغيب في الدعاء» جزء، «الأمر بالمعروف» جزء، «فضائل رمضان» جزء، «فضائل عشر ذي الحِجَّة» جزء، و«الصَّدقة»، و«الحج»، و«رجب»، و«وفاة النبي ﷺ»، و«الأربعين من كلام رسول رب العالمين»، و«مناقب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه» جزء، وله عدة أربعينيات، و«الجامع الصَّغير لأحكام البشير

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

النذير» لم يتمه، و«الأحكام الكبير» و«الأحكام الصغير»، و«درر الأثر» تسعة أجزاء، و«تبيين الإصابة لأوهام حَصَلَت في معرفة الصحابة على أبي نُعَيْم» جزء كبير، [وكتاب «السيرة»][1]، و«الإكمال في معرفة الرجال» رجال الصحيحين وأبي داود، والتِّرْمِذِي والنَّسائي وابن ماجه، عشر مجلَّدات.

ذِكْرُ محنه:

وهي كثيرةٌ؛ منها أنه لما دخل أصبهان وَقَفَ على كتاب أبي نُعَيْم الحافظ في «معرفة الصحابة»، فأخذ عليه في مئة وتسعين موضعاً، فطلبه بنو الخُجَنْدي ليقتلوه، فاختفى، وخرج من أصفهان في إزار.

ومنها أنه لما عاد من أصفهان دخل المَوْصل، فقرأ كتاب «الجرح والتعديل»[2] للعُقَيْلي، وذكر فيه أبا حنيفة وجَرَحَه، فثار عليه أصحابُ أبي حنيفة وحبسوه، ولولا البرهان ابن البِرْتي الواعظ خلَّصه لقتلوه، فإنَّه قَطَعَ الكُرَّاسة التي فيها ذكر أبي حنيفة، ففتَّشوا على اسم أبي حنيفة، فما وجدوه، فأطلقوه، فخرج منها خائفاً يترقَّب.

ومنها لما قدم دمشق من المَوْصِل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجُمُعة بحَلْقة الحنابلة، ويجتمع النَّاسُ إليه، وحصل له قَبُول، وكان سريعَ الدَّمْعة، فحسده الدَّماشقة، ودخلوا عليه بطريق النَّاصح ابن الحَنْبلي، فحسَّنوا له أن يعظ بعد الصَّلاة تحت النَّسْر، فشوَّش على الحافظ، فصار الحافظ يقعد بعد العَصْر، فذكر عقيدته على الكرسي، فاتَّفق محيي الدين بن زكي الدِّين، والخطيب الدَّوْلعي وجماعة من الدَّماشقة، وصَعِدُوا إلى القَلْعة ووالِيها صارم الدين بُزْغُش، فقالوا: هذا قد أَضَلَّ النَّاس، ويقول بالتشبيه. فعقدوا له مجلساً، وأحضروه، فناظرهم، فأخذوا عليه مواضع؛ منها قوله: كان الله ولا مكان، وليس هو اليوم على ما كان.

ومنها: ولا أُنزهه تنزيهاً ينفي حقيقة النُّزول.

ومنها: مسألة الصَّوْت والحرف.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) هو كتابه المشهور «الضعفاء الكبير» فذكر موضوع الكتاب عنواناً له، وترجمة الإمام أبي حنيفة في الجزء الرابع منه ص٢٦٨-٢٨٥ .

فقالوا له: إذا لم يكن على ما كان، فقد أثبتَّ له المكان، وإذا لم تنزهه تنزيهاً ينفي حقيقةَ النزول فقد أَجَزْتَ عليه الانتقال.

وأما الحرف والصَّوت، فإنه لم يصحَّ عن إمامك الذي تنتمي إليه فيه شيء، وإنما المنقول عنه أَنَّه كلام الله لا غير.

وارتفعت الأصوات، فقال له صارم الدين: كل هؤلاء على ضلالةٍ وأنتَ على الحق؟! فقال: نَعَمْ. فأمر الأسارى، فنزلوا إلى جامع دمشق، فكسروا منبر الحافظ، وما كان في حَلْقة الحنابلة من الدرابزينات، ومنعوهم من الصَّلاة، ففاتتهم صلاةُ الظُّهْر، فجمع النَّاصح ابن الحنبلي النَّبوية، وقال: لئن لم نرجع إلى مكاننا، وإلا فَعَلْنا وصنعنا. فأَذِنَ لهم القاضي ابنُ الزكي في ذلك، وكان رأس الفِتْنة، وكان الدَّوْلعي موافقاً للحافظ، وإنما خاف على منصبه، فوافقهم، وخرج الحافظ إلى بَعْلَبَكَّ، فأقام بها، وكان العادل في الشرق يحاصر مارِدِين، ثم سافر الحافظ إلى مِصْر، ونزل عند الطحانين، وصار يقرأ الحديث، وكان الملك العزيز في الصَّعيد، فأفتى فقهاء مصر بإباحة دمه، وبعثوا بالفتوى إلى العزيز، فقال: إذا رجعنا أخرجناه. واتَّفق أَنَّه وقع من الفرس، واشتغل بنفسه ومات، وجاء الأفضل إلى مِصْر، فأوصى به الولاة، ولما دخل العادل مِصْر ومعه وزيره ابن شُكْر نُقِلَ إليه ما نُقِلَ إلى العزيز، فطلبه، فدخل عليه دِرْباس الكُرْدي وعثمان بن الزَّنْجيلي، وعرَّفاه زُهْدَه وفَضْلَه، وتعصُّبَهم عليه، فلما دخل على العادل قام له وصافحه، وأجلسه إلى جانبه، وأكرمه، وسأله الدعاء، ثم عاد العادل ووزيره إلى الشَّام، وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث، فكتب أهلُ مِصْر إلى ابن شُكْر يقولون: قد أفسد عقائدَ النَّاس، ويذكر التجسيم على رؤوس الأشهاد. فكتب إلى والي مِصْر بنَفْيه إلى المغرب.

قال المصنِّف رحمه الله: فحدَّثني شيخُنا تاجُ الدِّين الكندي، قال: حكى لي رجلٌ من أهل مِصْر أَنَّ الحافظ توفي، واتفق أَنَّ الوزير ابن شُكْر طلبني في تلك السَّاعة، فحضرت عنده، فقال للكاتب: اكتب إلى مِصْر بنفي عبد الغني إلى المغرب، ولم يكن عَلِمَ بموته، فقلتُ: ما تحتاجون تنفونه هو قد نفاكم. فقال ابنُ شُكْر: وكيف؟ قلت: السَّاعة أخبرني شخص أَنَّه مات. فوجَمَ ابنُ شُكْر ساعةً كأَنَّه نَدِمَ.

وكانت وفاتُه بمسجد المصنع يوم الاثنين ثالث وعشرين ربيع الأول، ودُفِنَ بالقَرَافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق، وكان إذا اجتاز بذلك المكان يقول: روحي ترتاح إلى ها هنا، [فدفن فيه.

سمع بأصبهان الحافظ أبا موسى محمد بن عمر المديني وغيره، وببغداد أحمد بن المُقَرِّب الكَرْخي، وعبد الله بن النَّقُّور، ويحيى بن ثابت بن بُنْدار، والشيخ عبد القادر وغيرهم، وبدمشق أبا المكارم عبد الواحد بن المُسَلَّم بن هلال وغيره، وبالإسكندرية الحافظ السِّلَفي، وبمصر عبد الله بن بَرِّي النحوي وغيره][1]. وكان زاهداً عابداً ورعاً، يصلِّي كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة ـ وِرْد الإمام أحمد، رحمة الله عليه ـ ويقوم الليل، وعامة دَهْره صائم، وما ادَّخر شيئاً قَطُّ، وكان جَوَاداً، سَمْحاً، إذا فُتِحَ عليه بشيءٍ من الدُّنيا حَمَلَه في اللَّيل إلى أبواب الأرامل واليتامى، فألقاه إليهم، ومضى لئلا يعرفوا مَنْ جاء به، وكان ثوبه مرقوعاً، ويُؤْثر بثمن الثَّوب، وكان قد ضَعُفَ بَصره من كَثْرة المطالعة والبكاء، وكان أوحدَ زمانه في عِلْم الحديث.

وقال تاج الدين الكندي: هو أعلم من الدَّارَقُطْني والحافظ أبي موسى.

[وسأله الحافظ السِّلفي، فقال: مَنْ هو محمد بن عبد الرَّحمن الذهبي؟ فقال له: المخلِّص.

وحضر عند جدي فتذاكرا، فذكر جدي رجلاً اسمه ويزرة، فقال الحافظ: ورِيْزة. فقال جدي: أنتم أعلم بأهل بلادكم.

ذكر أولاده][1]:

وكان له ثلاثة أولاد: محمد، وعبد الله، وعبد الرَّحمن، وابنة اسمها فاطمة.

فأما محمد، فكنيته أبو الفَتْح، ولقبه عِزُّ الدين، [سمعنا بقراءته «مسند الإمام أحمد ابن حنبل» بالحربية على عبد الله بن أبي المجد في سنة ست وتسعين وخمس مئة،][1] وأما عبد الله، فلقبه الجمال، حضر وفاةَ أبيه. وأما عبد الرَّحمن، فكنيته أبو سليمان، وسنذكرهم [في مواضعهم][1] إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).